



نظرة المستشرق اجنتس جولد تسيهر للسنة من خلال كتابه العقيدة والشريعة في

الإسلام

مصطفى فرج العماري زايد

الجامعة الأسمرية الإسلامية

mastvafaraj@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين الهادي إلى الحق والطريق المستقيم، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين وبعد، فهذا بحث يتعلق بنظرة المستشرقين للشريعة الإسلامية بشكل عام، وللسنة النبوية المطهرة بشكل خاص، رأيت أن يكون إسهاماً مني من أجل نصره هذا الدين الإسلامي الحنيف، كما نصره أسلافنا السابقون الأولون ضد المطاعن والافتراءات...

أتقدم بهذه المشاركة العلمية إلى المؤتمر العلمي الدولي الثاني، الذي تنظمه كلية علوم الشريعة بجامعة المرقب، مدينة الخمس، ويتعلق: بفقه التعامل مع السنة النبوية (الاتجاهات والضوابط والجهود)، من أجل فهم سديد وتطبيق صحيح.

من المتعارف عليه لدى المتخصصين أن المستشرقين لهم دور كبير في التعامل مع السنة النبوية، ولهم نظرة في كل جانب من جوانبها، ولهم أهداف وغايات يسعون إلى تحقيقها، وهذه الغايات والأهداف تختلف من مستشرق إلى آخر على حسب البيئات الاستشراقية، التي ينتمي إليها كل واحد منهم.

رأيت أن يكون عنوان المشاركة في هذا المؤتمر: (نظرة المستشرق اجنتس جولد تسيهر للسنة من خلال كتابه العقيدة والشريعة في الإسلام)، الذي يندرج ضمن المحور الأول المتعلق باتجاهات التعامل مع نصوص السنة في الفهم والتنزيل بين معالم الوسطية ومظاهر الانحراف وبالتحديد تحت الاتجاه العقلاني المعاصر.



إشكالية البحث:

الإجابة على أسئلة تتعلق بتعامل بعض المستشرقين مع السنة النبوية سنداً وامتناً، من ذلك: لماذا يدرس المستشرقون السنة النبوية، وما الغاية من دراستها، وإلى أي مدى كان تعاملهم وفهمهم لنصوص السنة (بين الوسطية والانحراف)؟.

هدف البحث:

بيان ما وقع فيه المؤلف: (المستشرق اجنتس جولد تسيهر) من خطأ في فهم نصوص السنة، وخطأ التعامل معها، على سبيل العمد أو السهو، مستفيداً من تعليقات مترجم النسخة التي اعتمدها، وهو الأستاذ: محمد يوسف موسى، وردود العلماء عليه، من ذلك ما قام به الدكتور مصطفى السباعي في كتابه: السنة ومكانتها في التشريع.

أهمية الموضوع:

تعد دراسة علوم السنة والدفاع عنها من الأهمية بمكان، أو على أقل تقدير التذكير بما يحاك حولها من شكوك وشبهات، وخاصة فيما يتعلق بالمصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي ومحاوله نسبة ما ورد في الأحاديث للصحابة ومن تبعهم.

سبب اختيار الموضوع:

تقديم نظرة لأحد أكبر المستشرقين خطراً تجاه السنة والحديث النبوي الشريف، ومحاوله الكشف عن السبب في مواقفه هذه، التي لا تتعدى مجرد ذهوله؛ كغيره من المستشرقين واندعاشه أمام الثروة العلمية المتمثلة في قيمة السنة النبوية المطهرة. وأنه من المعلوم لدينا أن جميع المستشرقين غير المسلمين يختلفون معنا في الاعتقاد بنبوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وهذا الذي جعلهم يركبون متن الشطط في دعواهم.

منهج البحث وحدوده:

انتهجت في كتابة هذا البحث المنهج الاستقرائي النقدي، من خلال استقراء آراء المستشرق جولد تسيهر، من خلال كتابه العقيدة والشريعة، والرد عليه وفق منهج وسطي معتدل. اعتمدت في كتابة هذا البحث على النسخة الصادرة عن دار الكاتب المصري، القاهرة، الطبعة الأولى، فبراير: 1946م، بعنوان: العقيدة والشريعة في الإسلام، اجناس جولد تسيهر، تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الديانة الإسلامية، نقله إلى اللغة العربية وعلق عليه: محمد يوسف



موسى، عبد العزيز عبد الحق، وعلي حسن عبد القادر، وقد عرف هذا الكتاب في بداية تأليفه ب:
محاضرات في الإسلام، وعرف في فرنسا والشرق بالعنوان الذي ذكرت: العقيدة والشريعة...

هيكلية البحث:

يشتمل البحث على: مقدمة. تضمنت إشكالية البحث، وأهدافه، وأهمية البحث، وسبب اختياره ومنهجه وحدوده.

المبحث الأول: نبذة عن حياة المؤلف جولد تسيهر.

المبحث الثاني: اتجاه التعامل مع السنة والرد عليها.

المبحث الثالث: أنموذج التعامل مع نصوص السنة عند جولد تسيهر.

الخاتمة: تتضمن النتائج والتوصيات.

المصادر والمراجع.



المبحث الأول : نبذة عن المستشرق اجنتس جولد تسيهر

مولده:

كان ميلاده في الثاني والعشرين من شهر يونيو سنة 1850 بمدينة اشتولفيسنبرج في بلاد المجر، التي كانت آنذاك جزءا من الإمبراطورية النمساوية¹.
أسرته: يهودية إسرائيلية، لها حظها الكبير في المكانة الاجتماعية، له نزعة وطنية فيها من التحفظ الشيء الكبير.

يذكر الدكتور عبد الرحمن بدوي أنه كان غير راض عن الحركات الثائرة؛ حتى لو كانت هذه الحركات في صالح الطائفة، التي ينتسب إليها، فلم يكن راضيا عن الثورة التي قام بها بيبلاكون مع أنها أفضت إلى ازدياد نفوذ اليهود، ورفع مكانتهم في الحياة العامة في المجر².
إذاً هو المستشرق اجنتس جولد تسيهر المجري الأصل واليهودي الديانة، الذي ولد في سنة 1850، استمرت حياته في القراءة والتحصيل، إلى أن مات في بودابست بالمجر في نوفمبر من سنة 1921³.

دراساته ورحلاته:

قضى أول عمره في بودابست، ثم سافر إلى برلين سنة 1869م، ثم انتقل بعدها إلى جامعة ليبتيك⁴، ثم عاد إلى بودابست؛ فعين مدرسا مساعدا في جامعتها سنة 1872م، ثم أرسلته وزارة المعارف إلى فيينا وليدُنْ، ثم رحل إلى الشرق سنة 1873 فأقام في القاهرة مدة، وفي هذه المدة ألقى بعض الدروس في الأزهر، جعلته متميزا عن غيره من المستشرقين، ثم إلى سوريا وفلسطين، ثم عاد بعد ذلك إلى المجر، وعيّن رئيسا في أحد أقسام جامعتها سنة 1907م، وصار أستاذا للغات السامية، ولم يغادر المجر إلا للمشاركة في المؤتمرات الاستشرافية⁵.

1- موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ص 197.

2- المصدر السابق، ص 197.

3- نفسه، ص 198.

4- نفسه، ص 198.

5- نفسه، ص 199.



إذا لم يكن **جولد تسيهر** بشكل ظاهر وواضح للعيان مهتماً بالسياسة والشرق المعاصر ولكن تجربته الروحية الباطنية وكتابات توحى أنه ينفذ في النصوص والوثائق، ويتبين من خلالها أن له تيارات ودوافع حقيقية استترت خلف قناع تلك الكلمات.

أساتذته:

من أشهر أساتذته فليشر، الذي كان أستاذاً له في جامعة ليبتيك، وكان أحد المستشرقين الناجحين في ذلك الحين، فتتلمذ على يديه في الدراسات الشرقية، ونال على يديه درجة الدكتوراه الأولى سنة 1870م، وتتعلق دراسته في مرحلة الدكتوراه بشراح يهودي في العصور الوسطى، شرح التوراة ألا وهو: تنخوم أورشليمي⁶.

منهجه:

كان منهجه العلمي ونظرته للقرآن والسنة وغيرهما من علوم الإسلام نظرة إلى الوثائق على أنها رمز لحياة مضطربة قوية معقدة حينها جعلته ينظر إلى المذاهب والنظريات والآراء نظرة زمانية لا مكانية، جعلته ينظر إلى التفسير والفقه والحديث والعقائد على أنه كالكائن الحي، يولد وينمو وينضج، ثم يبدأ في الانحلال ويستمر في الذبول حتى يفنى ويزول، هذه نظره لكل ذلك إذا ما تمعنا كتابه العقيدة والشريعة في الإسلام⁷.

هذا هو منهجه البحثي، الذي أشار إليه عبد الرحمن بدوي من أنه منهج استدلاي لا استقرائي؛ فكان يقبل على النصوص وفي عقله جهاز من المقولات والصور الإجمالية، يحاول تطبيقها على هذه النصوص والتوفيق بينها وبين ما يوحي به ظاهر النص.

فقد كان شديد الاهتمام في استخدام هذا المنهج الاستدلاي، فيذكر النص ويسوق الشواهد تأييداً لأقواله، معتمداً على البصيرة والوجدان، وهو يختلف عن منهج المستشرق نلينو الذي يقوم على الاستقراء الخالص، ويعتمد على النصوص ولا يخرج عنها، ويشير بدوي إلى أن منهج نلينو هو المنهج العلمي بالمعنى الدقيق، وهو منهج نولدكه⁸.

6- موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ص 198.

7- المصدر نفسه، ص 199.

8- نفسه، ص 200.

نبوغه العلمي ومؤلفاته:

بدأ منذ أن كان طفلاً - لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره - يكتب بحثاً عن أصل الصلاة وتقسيمها وأوقاتها، وفي سن السادسة عشرة أخذ يترجم قصتين من التركية إلى المجرية، تقوم إحدى المجالات بنشرها، تحت عنوان: مستشرق في السادسة عشرة.

ظل منذ تلك اللحظة سنة 1866م، وفي كل سنة يكتب بحثاً، أو طائفة من الأبحاث من بين كتب ضخمة يقوم بالاطلاع عليها، حتى بلغ مجموع أبحاثه خمسمائة واثنين وتسعين بحثاً⁹. أما مؤلفاته فهي كثيرة؛ ذكر المهتمون بترجمته أنها تجاوزت بضع مئات؛ فحياته كانت حافلة بالبحث والدرس والتأليف¹⁰. منها كتابه: (الظاهرية ومذهبهم وتاريخهم)، طبع سنة: 1884م، وذكر الدكتور عبد الرحمن بدوي أن من أهم أبحاثه - التي تتعلق بالمسائل الإسلامية - كتابه: (الظاهرية ومذهبهم وتاريخهم)، وبيّن بدوي أن الكتاب احتوى على مقدمة تتعلق بالفقه بشكل عام، ولم يقتصر على المذهب الظاهري - الذي اندرس ولم يعد له أتباع - كما تكلم في الكتاب عن أصول الفقه، وأصول المذاهب الفقهية المختلفة وعن الإجماع، وعن الاختلاف بين أئمة المذاهب، وعن الصلة بين المذاهب والمذهب الظاهري، ومنهجه في ذلك - كما بيّنت - أنه يتحدث عن تطور الفقه ونموه، ويسير في التحليل إلى أن يربط المذهب الظاهري، الذي أسسه ابن حزم إلى ابن تيمية والمقرئزي¹¹.

ثم كتابه: (دراسات إسلامية)، الذي ظهر سنة 1889م، ثم كتابه: (محاضرات في الإسلام)، الذي ظهر وطبع في مدينة هيدلبرج سنة 1910م، أو المسمى: (العقيدة والشريعة في الإسلام) المحدد في هذا البحث محل الدراسة¹².

وهذا الكتاب الذي اخترت منه نظرتي للسنة، وحاولت الرد عليها وفق ردود علماء المسلمين، الذين كان لهم دور كبير في التصدي للمرجفين والمستشرقين أمثال اجنّس جولد تسهير اعتمد مؤلفه في تقسيمه على نظرة عامة عن الإسلام من جميع نواحيه، تحدث في الفصل الأول عن

9- موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ص 199.

10- ينظر: مقدمة مترجم كتاب العقيدة والشريعة في الإسلام. محمد يوسف موسى.

11- موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ص 200.

12- المصدر السابق، ص 201.



محمد والإسلام، تناول فيها فكرة الضمير وطهارة القلب، وما لهما من دور في الإسلام. والفصل الثاني تحدث فيه عن تطور الشريعة، بين من خلاله خصائص الفقه وتاريخ الحديث. الفصل الثالث: خصصه لتطور علم الكلام. الفصل الرابع: تحدث فيه عن الزهد والتصوف. الفصل الخامس: تحدث فيه عن الفرق القديمة والمعاصرة¹³.

وكتابه: (مذاهب المسلمين في تفسير القرآن)، أو (اتجاهات تفسير القرآن عند المسلمين)، طبع بليدن سنة 1920م. تكلم فيه عن خطوات تفسير القرآن، وتاريخ النص، والقراءات واتجاهات تفسير القرآن قديماً وحديثاً¹⁴.

المبحث الثاني : اتجاه التعامل مع السنة النبوية عند جولد تسيهر والرد عليها

نلمس من خلال هذا المبحث نظرة المستشرق المجري جولد تسيهر ورؤيته وموقفه من السنة النبوية، ولا شك أن السنة النبوية المطهرة لها مكانتها الدينية والعلمية والتاريخية؛ لذا شكك في صحتها بعض المستشرقين، ومن سار على نهجهم من المرجفين، وخاصة في هذه الزمان. وقد ذكر العلماء هذا الموقف من السنة ورد كثير منهم على شبههم التي تترا، ربما تأثر بها كثير من الكتاب المسلمين. ومن الذين قاموا بالتصدي لهذه الافتراءات الدكتور السباعي، في كتابه السنة ومكانتها في التشريع بقوله: ((...وسأحاول هنا نقد خلاصة آرائه في هذا الصدد -غير متتبع لكل فقرة من فقراته، فذلك يقتضي كتاباً مستقلاً على حدة؛ فإن بحوثه في هذا الشأن يضيق نطاق هذه الرسالة عن إثبات الرد عليها جملة جملة، وحسبي أن أشير إلى الاتجاهات العامة والخطوط الرئيسية في بحوثه، وأترك بقية الرد التفصيلي لفرصة أخرى، وأرجو الله أن يفسح في الأجل للقيام بهذا الواجب))¹⁵، فله الفضل والمنة أن قيض لهذا الدين من يدافع عنه ويصد عنه شبه المغرضين. وكذلك ممن تصدوا لهذه المزاعم الشيخ محمد أبو زهرة من خلال كتابه: الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية؛ فقد أفحم الخصم بردود شافية كافية واضحة لمن أراد أن يعترف بالحق الظاهر للعيان.

13- موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ص202.

14- المصدر نفسه، ص203.

15- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، للسباعي، ص214.

إن من هذه المواقف ووجهات النظر، التي تعرض لذكرها المستشرق المجري اتجاه السنة زعمه: أن السنة كانت من صنع الصحابة، وأنهم هم من كتبها ودونها، وزعم أن الإسلام في بدايته بني على يد أتباع النبي محمد ﷺ، وأن السنة، التي هي جزء لا يتجزأ من الإسلام قد ألفت على يد الصحابة، ويرى أن الآلاف من الأحاديث التي قالها النبي ﷺ قد أضافها العلماء من بعده؛ ليوسعوا الإسلام ويجعلوه أكبر حجماً. فيقول: "إن تعاليم القرآن تجد تكملتها واستمرارها في مجموعة من الأحاديث المتواترة وهي - وإن لم ترو عن النبي مباشرة - تعتبر أساسية لتمييز روح الإسلام"¹⁶. فهو يطعن في السنة كلها المتواتر الصحيح أو المشهور، وليس حديثاً ما أو مجموعة من الأحاديث.

الرد على نظرتة وزعمه:

إن ما ترتب على قوله في موضع آخر من القرآن من صنع محمد صلى الله عليه وسلم قوله: (...الأحاديث المتواترة، وإن لم ترو عن النبي مباشرة تعتبر أساسية لتمييز روح الإسلام) يريد بذلك أن يصل إلى التشكيك في صحة السنة النبوية، وإذا تم له ذلك فيكون قد تحقق له ما يريد من أن القرآن من تأليف محمد، ولا غرابة في ذلك؛ لأن أغلب المستشرقين بعد نسبتهم القرآن لمحمد سعوا جاهدين إلى أن ينسبوا السنة لأتباعه، والغاية من هذا التشكيك هو زعزعة مصادر التشريع الإسلامي والاطعن في شعائرها المقدسة.

أعتقد أن النتيجة التي يريد أن يصل إليها المستشرق جولد تسهير وغيره من المستشرقين هي التشكيك في السنة النبوية؛ لأنها تمثل لهم أكبر عائق بعد القرآن الكريم من أجل إطفاء نور الإسلام، ولأن السنة ترتبط بالقرآن الكريم ارتباطاً مباشراً؛ فهي المفسرة والموضحة لنصوص القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44].

يجب أن أذكر القاري الكريم: ((... حرص الصحابة على حفظ حديث رسول الله ﷺ ونقله، وحرص التابعين من بعدهم على نقل هذا الحديث وجمعه، وتنقيته من شوائب التحريف والتزويد، وما قام به علماء السنّة من جهود جبارة في تتبع الكذابين والوضّاعين، وفضح نواياهم ودخائلهم، وبيان ما زادوه في السنّة من أحاديث مكذوبة، حتى جمعت السنّة في كتب صحيحة وأشبعها النقاد بحثاً وتمحيصاً، ثم خرجوا من ذلك إلى الاعتراف بصحتها والتسليم بها، إذا أمعنت

النظر في ذلك كله، أيقنت أنّ هؤلاء المستشرقين يخبطون في أودية الأوهام، ويتأثرون بأهوائهم وتعصبهم في الحكم على حقائق، يعتبر العبث بها في نظر المحقق المنصف إسفافاً وتلاعباً بالعلم وإخضاعاً لحقائق التاريخ إلى نظريات الهوى والعصبية)¹⁷.

والأحاديث الشريفة التي جاءت بها السنة الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحصل لها تطور كما يدعي جولد تسيهر؛ فبعد اكتمال الدين قبل رحيل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى نزل قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3] وذلك يعني: كمال الإسلام وتمامه. قال صلى الله عليه وسلم للصحابة: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ»¹⁸.

ومن شبهاته قوله: "إن هذه الأحاديث وغيرها من النصوص المماثلة لها، والتي يسهل علينا جمعها، لا تمثل وجهات نظر خاصة بطبقة سامية الأخلاق فحسب، بل إنها لتعبر عن العاطفة العامة لفقهاء الإسلام"¹⁹. وكذلك يقول: "...لكن الإسلام خلال توسعه التالي، وبفعل التأثيرات الأجنبية ترك مجالاً لدقة العلماء المفتين ولعلماء العقائد"²⁰.

هذا فهم أحد أكبر المستشرقين للسنة النبوية بأكملها، وهذا هو الفكر والتفكير الاستشراقي عند كثير من المستشرقين، وكأنه يقول: النبي محمد أخذ القرآن عن الأولين، والسنة نقلها أتباعه من الأجانب عند توسعهم في البلدان. هو في الحقيقة يريد أن يشكك في القرآن، ويريد أن يبرهن على أنه من صنع محمد، ويشكك في السنة على أنها من صنع الصحابة.

إن أغلب المستشرقين في كتاباتهم وأبحاثهم وقعت منهم أخطاء وماغذ منها الوقوع في الافتراضات المسبقة؛ فتجدهم يحملون أفكاراً ثابتة ومسلمات لا نزاع فيها، وهذا يقع على المستشرقين الذين لم يهتدوا بدين الإسلام، لأنهم يخالفون المسلمين في عقيدتهم، فلا يستطيع المستشرق أن يسلم بأن محمداً نبياً مرسلًا، وأن القرآن كتاباً منزلاً.

17- السنة ومكانتها، للسباعي، ص220.

18- موطأ مالك: رقم: (2640)، 364/2.

19- العقيدة والشريعة في الإسلام، ص33.

20- المرجع السابق، ص49.

لذا فإن المستشرق جولد تسيهر - كما جاء في كتابه العقيدة والشريعة في الإسلام أو دراسات محمدية - لديه فكرة مسبقة وافترض ثابت لا يتغير، وهو أن الأحاديث الموجودة لدينا اليوم مختلفة وموضوعية، وهي نتيجة التطور التاريخي والسياسي، الذي طرأ على العالم الإسلامي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم²¹.

ومن باب الرد عليه إذا أنكر السنة وقال: هي من صنع أتباعه، إذن لماذا يعترف بحياته؟ لقد ردّ علماء المسلمين أحاديث كثيرة نسبت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يعترفوا بها؛ بسبب الوضع أو الافتراء... ونحن: ((لا ننكر أن هناك الكثير من الموضوعات، التي نسبت إلى الرسول الكريم ﷺ ولم يكن ذلك خافيا في عصر من العصور على علماء المسلمين))²². ول ((علماء الحديث باع طويل في نقد الرواة، وبيان حالهم من صدق أو كذب؛ فقد وصلوا في هذا الباب إلى أبعد مدى، وأبلوا فيه بلاء حسنا، وتتبعوا الرواة ودرسوا حياتهم وتاريخهم...))²³.

لقد اتهم هذا المستشرق ((أكثر علماء الأمة بلاء وأضناهم جهدا، وأشققهم عملا، وأثقلهم عبئا، وأصعبهم رسالة، كانت مهمتهم أثقل من نحت الصخور، وحمل الجبال، يشهد بكل ذلك ما تركوه لنا من علوم جليلة...))²⁴.

وإن من علماء الحديث الإمام البخاري صاحب كتاب: ((الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه))، دونه على مدى ستة عشر عاما، والإمام أحمد بن حنبل مُسنّده فيه أربعون ألف حديث، وقيل: ثلاثون، تكرر منها عشرة، كان يقول: ((جعلته حجة بيني وبين الله))²⁵، فكيف يدعي المستشرقون أن الصحابة وأهل الحديث هم من ألفوا السنة؟²⁶.

21- ينظر: وهم الموضوعية في كتابات دراسات محمدية، بحث للدكتور: بشير الصديق نصر، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا. وينظر الاستشراق أهدافه ووسائله، للزيادي، ص 116-117.

22- تميز الأمة الإسلامية، الدكتور السعدي، 664/1.

23- الاستشراق، زقروق، ص 96.

24- افتراءات المستشرقين، المطعني، ص 54.

25- ينظر: المعين على تفهم الأربعين، لابن الملقن، 320/1.

26- افتراءات المستشرقين، المطعني، ص 57.



إذاً ليس صحيحاً ما زعمه جولد تسيهر من أن الصحابة والتابعين هم من وضعوا الحديث وطوروه، وفي الحقيقة هذا خلط بين الحق والباطل؛ فتجد المستشرق يعترف بجهود علماء الحديث في جمعه وحفظه والتحقق من نسبه للنبي صلى الله عليه وسلم ثم يتهمهم بالوضع؟ وفي معرض الرد على هذا المستشرق يرد الشيخ محمد أبو زهرة على تمويهات هذا المستشرق وغيره: ((اطلعت أيها القارئ على تاريخ السنة في القرن الأول والثاني للهجرة المباركة، ورأيت أن علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم كان يتلقاها بعضهم عن بعض في أمانة وضبط، وأنهم يذوبون عنها أكاذيب الشيعة والخوارج والزنادقة، ومن كان على شاكلتهم في الكيد للإسلام عن طرق الحديث...)) ثم يقول: ((ولكن شذمة من أهل الكفر والضلال يدعون بالمستشرقين كبر عليهم أن تبقى هذه الثروة الإسلامية المباركة محفوظة من التبديل والتحريف في وقت ضعف فيه المسلمون واستولت عليهم الأمم الكافرة، فعمل هؤلاء المستشرقون جاهدين على تشكيك المسلمين في دينهم عن طريق الطعن في الحديث...))²⁷.

إن ما تفوه به جولد تسيهر يحاكيه تلميذه جوزيف شاخت، ويزعم هو الآخر أن السنة عنصر بشري دخيل، ولم ينزل به وحي من عند الله، وما دام الأمر كذلك فليس على المسلمين حرج في أن يهملوها، وليس عليهم شيء في إهمال أوامرنا ونواهيها، وقد سار على هذا الزعم من بعض المفتونين من أبناء المسلمين، مثل: محمود أبو رية، الذي أكثر الطعون في السنة في كتابه: أضواء السنة المحمدية، وحسين أحمد أمين، في مقالاته²⁸.

إذاً لماذا كل هذه الافتراءات والشكوك في السنة والحديث؟ ومع هذا لم يصل المستشرقون إلى ما يريدون من زعزعة ثقة المسلمين في دينهم المتمثل في القرآن والسنة، مع ما حصل من تخاذل ممن ركن لأولئك المستشرقين من بني المسلمين، أمثال: محمود أبو رية في كتابه: أضواء السنة المحمدية²⁹.

27- الحديث والمحدثون، أبو زهرة، ص302.

28- ينظر: افتراءات المستشرقين، المطعني، ص164.

29= ينظر: الاستشراق، زقروق، ص96.

وفي الحقيقة فإن مثل هذه الشبه لا تقوم إلا على مجرد الدعوى والتغافل عن الحقائق، ولا تقوم إلا على اتباع الهوى والغرض. وهذا القول الذي أورده المستشرقون هو قول من يتجاهل الحقائق الثابتة ويطعن فيها ويخلط بين الحق والباطل.

إن مزاعم جولد تسيهر تؤكد خطورة المنهج الاستشراقي المعادي للإسلام وأهله، المنهج الذي يعتمد على الخطأ والتدليس والافتراضات المسبقة واتباع الهوى والغرض.

إن الذي دفع جولد تسيهر وغيره - كما بين الشيخ السباعي في كتابه السنة ومكانتها في التشريع - حيث يقول: ((لما هاجمت الجيوش الصليبية بلاد الإسلام، كانت مدفوعة إلى ذلك بدافعين:

الأول- دافع الدين والعصبية العمياء التي أثارها رجال الكنيسة في شعوب أوروبا، مفترين على المسلمين أبشع الافتراءات: مُحَرِّضِينَ النَّصَارَى أَشَدَّ تَحْرِيزَ عَلَى تَخْلِيصِ مَهْدِ الْمَسِيحِ مِنْ أَيْدِي الْكُفَّارِ (أي: المسلمين)، فكان جمهرة المقاتلين من جيوش الصليبيين من هؤلاء الذين أخرجتهم العصبية الدينية من ديارهم عن حسن نية، وَقُوَّةَ الْعَقِيدَةِ، إلى حيث يلاقون الموت والقتل والتشريد حملة بعد حملة، جيشاً بعد جيش.

الثاني- دافع سياسي استعماري))³⁰.

فلا شك أن الذي دفعهم حقدهم الدفين منذ قديم الزمان على هذا الدين الحنيف محاولة منهم إطفاء نور الله تعالى.

ثم إن الناظر في كتابات المستشرقين - وخاصة ما كتبه جولد تسيهر في كتابه العقيدة والشريعة - يرى التعمد في تشويه الحضارة في أذهان المسلمين وغيرهم، وتبين أن مثل هذه الأبحاث تَتَسِمُ بالظواهر الآتية:

- 1- سوء الظن والفهم لكل ما يتصل بالإسلام في أهدافه ومقاصده.
- 2- سوء الظن بعلماء المسلمين وعظمائهم.
- 3- تصوير المجتمع الإسلامي في مختلف العصور، وخاصة في العصر الأول، بأنه مجتمع متفكك تقتل الأنانية رجاله وعظماؤه.
- 4- تصوير الحضارة الإسلامية تصويراً ذوّناً الواقع بكثير، تهويناً لشأنها واحتقاراً لآثارها.

30- السنة ومكانتها في التشريع، السباعي، 211.



5-1 الجهل بطبيعة المجتمع الإسلامي على حقيقته، والحكم عليه من خلال ما يعرفه هؤلاء المستشرقون من أخلاق شعوبهم وعادات بلادهم.

6- إخضاع النصوص للفكرة، التي يفرضونها حسب أهوائهم، والتحكم فيما يرفضونه ويقبلونه من النصوص.

7- تحريفهم للنصوص في كثير من الأحيان، تحريفاً مقصوداً.

8- إساءة فهم العبارات حين لا يجدون مجالاً للتحريف تحكمهم في المصادر التي ينقلون منها؛ فهم ينقلون مثلاً: من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث، ومن كتاب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه، ويُصَحِّحُونَ ما ينقله «الدميري» في كتاب: الحيوان، وَيُكَدِّبُونَ ما يرويهِ الإمام مالك في: الموطأ، كل ذلك انسياقاً مع الهوى، وانحرافاً عن الحق³¹.

إذاً المطلع على كتابات المستشرقين يجد فيها من الخطورة البالغة، التي تحتاج منا إلى الحذر من مثل هذه الكتابات، ((ولعل أشدهم خطراً، وأوسعهم باعاً، وأكثرهم خبثاً وإفساداً في هذا الميدان، هو المستشرق اليهودي المجري «جولد تسيهر» فقد كان واسع الاطلاع على المراجع العربية - على ما يظهر - حتى غدَّ شيخ المستشرقين في الجيل الماضي، ولا تزال كتبه وبحوثه مرجعاً خصباً ومهماً للمستشرقين في هذا العصر، وقد نقل لنا الأستاذ أحمد أمين بصورة غير رسمية كثيراً من آرائه عن تاريخ الحديث في فجر الإسلام، وضحاها، كما نقل لنا بصورة رسمية سافرة بعض آرائه، التي صرح بعزوها إليه، كما نقل لنا الدكتور علي حسن عبد القادر في كتابه نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي. مُلَخَّصَ شُبُهِهِ هذا المستشرق في التاريخ الحديث، كما نجد بحث هذا الموضوع وخلاصة رأيه واضحاً في كتابه العقيدة والشريعة في الإسلام، الذي ترجمه الأساتذة محمد يوسف موسى، وعبد العزيز عبد الحق، وعلي حسن عبد القادر³².

ومن نظرته التي تتعلق بالإسلام: (... ذلك بأن الإسلام - كما يبدو عند اكتمال نموه - هو نتيجة تأثيرات مختلفة - تكوّن بعضها - باعتباره تصوراً وفهماً أخلاقياً للعالم، وباعتباره نظاماً قانونياً وعقيدياً، حتى أخذ شكله السني النهائي)³³. وهذا إن دلّ فإنما يدل على كمال، الدين الذي

31- ينظر: السنة ومكانتها في التشريع، السباعي، 212.

32- السنة ومكانتها، السباعي، 214.

33- العقيدة والشريعة في الإسلام، ص4.



نصت عليه الآية الكريمة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3] والإسلام يشتمل على مبادئ تطورت شيئاً فشيئاً، وفق أحداث ومواقف ومناسبات حتى اكتمل في صورته، التي نص عليها القرآن الكريم، ولا يدل ذلك على أنه من صنع الصحابة أو أنه مقتبس من الفقه الروماني، أو الفكر الفلسفي اليوناني أو غير ذلك... ومن مواقفه اتجاه نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم والسنة قوله: (...وهذا الطابع العام يحمله الإسلام مطبوعاً على جبهته منذ ولادته، فمحمد صلى الله عليه وسلم مؤسسه لم يبشر بجديد من الأفكار، كما لم يمدنا أيضاً بجديد فيما يتصل بعلاقة الإنسان بما هو فوق حسه وشعوره وباللانهاية، لكن هذا وذاك لا ينقصان من القيمة النسبية لطرافته الدينية)³⁴.

ويتابع الشيخ السباعي في رد شبه هذا المفترى على الإسلام وأهله: ((...الحق أن هذا المستشرق من أقل الناس حياءً في مجال العلم؛ فهو كما رأيت يخترع الأكذوبة ويتخيّلها، ويركب لها في نفسه هيكلًا، ثم يلتقط من هنا وهناك ما يوهم أنه يؤيده فيما ادّعى ولا يبالي أن يكذب في النصوص أو يغالط في الفهم، أو يستدل بما ليس بدليل، ويُعرض عما يكون دليلاً قاطعًا، ولكن ضد فكرته، وليس أدل على نُحْيِزِهِ وَبُغْدِهِ عن الإنصاف، وتعصبه لآرائه من أن يرفض نصوصًا قاطعة أجمع على صحتها أهل العلم، بنصوص ملفقة من كتاب حياة الحيوان للدميري، أو كتاب ألف ليلة وليلة، أو العقد الفريد، أو الأغاني، أو غيرها من كتب الأدب، التي تجمع ما هَبَّ وَدَبَّ وما صح، وما لم يصح؛ فهذا شأن قوم يزعمون التجرد للعلم، وهل هؤلاء هم الذين اتخذهم أمثال أحمد أمين أئمة؟ يهتدون بهديهم في تكذيب الصحابة، وتجريح التابعين والتهجم على علمائنا في مجال النقد والتمحيص))³⁵.

وهذه الآراء منه وقفت عليها بنفسها في أغلب كتابه العقيدة والشريعة في الإسلام، فلا تجد إلا المراوغات الباهتة، وقصد التضليل لأبناء جلدته أو من اقتنع به من المسلمين، فسبحانك يا رب تهدي من تشاء وتضل من تشاء ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأْتَمَّا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 125].

34- المصدر السابق، ص5.

35- السنة ومكانتها في التشريع، للسباعي، ص263.



ومن هذا الافتراء على السنة وسندها المتصل الصحيح قوله: ((...فهو عبارة عن سلسلة من المحدثين الذين يصلون إلينا هذه الأخبار والأعمال المشار إليها طبقة بعد طبقة، مما ثبت عند الصحابة على أنه قد حاز موافقة الرسول في أمور الدين أو الدنيا...))³⁶. وهذا أمر مسلم به عند أهل الحديث؛ فكل ما ثبت أنه ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجب الأخذ به وعدم الإعراض عنه بأي حال؛ بل يكون من الثوابت الإيمانية التي لا يخالف المسلم.

في الحقيقة لا يمكن التسليم بأي حال لدعوى جولد تسيهر وزعمه، وهذا التطاول والاتهام للمتقدمين والمتأخرين على حد سواء، وهذا التعميم، الذي هو سمة أغلب المستشرقين في منهجهم اتجاه السنة والحديث، فيقول: ((ولا نستطيع أن نعزو الأحاديث الموضوعة للأجيال المتأخرة وحدها...))³⁷، فيتجراً وينسب الحديث الموضوع للنبي صلى الله عليه وسلم أو عمل علماء الإسلام، وهذا لا يستقيم أصلاً عند أهل النقد من المحدثين الذين عملوا جهدهم للتصدي للوضع والوضعين مهما كانت أغراضهم وأهدافهم.

ثم تجده يقول: ((لم يستطع المسلمون أنفسهم أن يخفوا هذا الخطر، ومن أجل هذا وضع العلماء علماً خاصاً له قيمته، وهو علم نقد الحديث؛ لكي يفرقوا بين الصحيح وغير الصحيح من الأحاديث))³⁸، لماذا هذا التناقض، هل الغرض منه التشكيك أو البحث عن الحقيقة؟ نحن المسلمون نعترف بحصول الوضع في الحديث، ولكن مع هذا فقد تصدى له العلماء بالنقد - كما يعترف بذلك المستشرق ويقر به - وهذا لا يعني أن كله من وضع الصحابة ومن تبعهم كما يزعم، ومن الثوابت لدينا أن الصحابة عدول قاموا بصيانتهم من الدس والوضع، وتتبع ذلك العلماء من أهل النقد في الحديث.

ثم يقول جولد تسيهر: ((...ومن ناحية التطور الديني الذي نعني به هنا لا يهمننا الحديث من ناحية شكله النقدي، وإنما يهمننا من ناحية التطور...))، ويقول أيضاً: ((...فهناك جمل

36- العقيدة والشريعة، ص 41.

37- المصدر السابق، ص 41.

38- المصدر نفسه ص 41.

أخذت من العهد القديم والعهد الجديد...)»³⁹. وهنا تجده يخلط بين الحق والباطل مع سعة اطلاعه على أمور الدين الإسلامي؛ فتجده يعترف تارة بالنقد والتمحيص، الذي حصل للحديث من قبل النقاد من أهل الحديث، ومن جهة أخرى يقول: الذي يهمننا التطور التاريخي للحديث... وهنا كلامه ينقض بعضه بعضا.

ومسألة الأخذ من العهدين كما يدعي، فهو إما متعمد أو مشكك، فمن المعروف والمسلم به أن تلك الأخبار الإسرائيلية التي نقلها من دخلوا في الإسلام من اليهود في بداية الدعوة الإسلامية، وهنا حصل من المستشرق خلط كبير بين الحديث، وما جاء من آثار كعب الأحبار وغيره من الإسرائيليين، وأما ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فهو حديث؛ لأنه أوحى إليه أخبار السابقين من الأمم السابقة والنبي لا ينطق عن الهوى.

المبحث الثالث : أنموذج التعامل مع نصوص السنة عند جولد تسيهر

ماذا نقول في رجل تنعكس الحقائق في نفسه على هذا النحو؟!

الوفاء مع الأعداء في أرحح الظروف هو سياسة لا كياسة، ولا ينبغي أن يذكر للإسلام ولا لنبهه فضل في هذه الناحية، لكن جولد تسيهر يجب أحيانا أن يبدو وكأنه رجل منصف، لا يلقي التهم جزافا، ولا يقبلها من غيره جزافا، ولذلك اعترض كلمة لقسيس بروتستانتى مغفل يزعم فيها أن الإسلام لا يهتم بالنيات، ولا يبالي بطهارة القلوب... الإسلام الذى يقول نبهه: ((إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى)). والذى يقول: ((ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب !)). هذا الإسلام في عقل القسيس البروتستانتى الذكي دين لا يقوم على نقاء القلوب!! لذلك يقول جولد تسيهر: ((وبفضل نظرية النية والقصد والروح التي تلهم الأعمال، التي اتخذت معيارا لقيمة العمل الديني، حتى أصبح صدق الإخلاص لا بد منه لقبول العمل؛ فمجرد ظل باعث من أثرة، أو رياء مجرد كل عمل طيب من قيمته))⁴⁰.

ومن هذا يتبين أنه ليس من قاض عادل يستطيع أن يوافق على هذه الجملة، التي نطق بها القسيس البروتستانتى تيسدال، وهى: "من البديهي أن طهارة القلب لا يمكن أن تعتبر ضرورية أو

39- العقيدة والشريعة ص 42.

40- العقيدة والشريعة، ص 41.



مرغوبا فيها في الإسلام! والواقع أنه يصعب علينا أن نقول: إنها مستحيلة لدى المسلمين!! لكن هل الرجل أدلى بهذه الشهادة ضد القسيس البروتستانتي لوجه الحق؟! إنها وإن كانت شهادة مدخولة لما لا بسها من كلام سخييف عن السنة النبوية، إلا أننا نقبلها منه وحدها⁴¹.

وفي أنموذج آخر وقع فيه الخطأ من قبل المستشرق نفسه، نتيجة فهم خاطئ، نرى المؤلف هنا يضع كلمة بداية كلامه عن الرحمة بأن الأحاديث الواردة في هذا الباب أودعت في الحديث، ولم يرجع ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ثم أخذ يتابع كلامه بالحديث عن ذكر الرحمة والتراحم، وهنا نسأل: ما الغرض الذي يريد أن يصل إليه؟

ففيه ما فيه من التشكيك والإيهام... يقول جولد تسيهر: ((وفي الحديث أودعت هذه المبادئ ذات التقوى الخالية من الظواهر وحدها... ثم يستدل بالحديث⁴²: «جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِائَةً جُزْءٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا؛ فَمَنْ ذَلِكَ الْجُزْءُ تَتَرَاخَمُ الْخَلَائِقُ حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا حَشِيَّةً أَنْ تُصِيبَهُ»⁴³، ولم يرجع هذا القول للنبي ﷺ.

وفي أنموذج آخر وفهم مختلف يظهر خطأ وتعمد عن قصد من قبل هذا المستشرق عندما يربط شرب الخمر بالحديث عن الحرية الشخصية، ويستدل بالحديث في غير موضعه ويعتقد - حسب هواه- أن تحريم الخمر يقيد الحرية فيقول: ((ما جاء من أن: الخمر أم الخبائث، فكل هذا يدخل في باب الحرية، وسهولة التخطي لأحكام الشريعة المعترف بها))⁴⁴، ويتهم الصحابة بوضع أحاديث في تحريم النبيذ، ويستدل بآية المائدة أنه لا جناح على الذين آمنوا فيما طعموا، وينكر على عمر بن الخطاب إقامة الحد على من شرب الخمر متأولا.

وهنا يجب توضيح أن حرمتها ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع، ولم يقل مسلم في الأولين والآخرين: إن السكران يترك، ولا يقيم عليه الحد الشرعي، حتى تعرف المادة التي سكر منها أو الجهل الذي وقع منه، بل يجلد ولو سكر من لبن. ومن زعم أن الخمر مباحة فقد كفر.

41= ينظر دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، محمد الغزالي، ص38.

42- أخرجه البخاري، باب: جعل الله الرحمة مائة جزء، رقم: 6000، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

43- العقيدة والشريعة ص43.

44- المصدر السابق، ص60-61.



إن هناك أنواعا من الأشربة الحلوة تنشأ من عصر الفواكه، أو من نقع بعضها في الماء كالتين والزبيب والرمان والتمر، وكثيرا ما يطلق على هذا اللون من الشراب النبيذ، وهو إطلاق صحيح من ناحية اللغة، وكان شائعا في عرف الأوائل... وهذه الأشربة باتفاق المسلمين حلال وما فتئ المسلمون في أنحاء الأرض يشربونها دون نكير، وإن كانت تسمى أنبذه.

وجولد تسيهر يلبس الحق بالباطل عندما يقول: إن كثيرا من العباد والقراء كانوا يشربون النبيذ -على أنه الخمر- قاصدا بكلامه هذا الإشعار بأن هناك مدرسة إسلامية تبيح الخمر، وهو كاذب بداهة.

اعتمد جولد تسيهر في الإيهام بأن الخمر حلال -عند بعض المسلمين- على خبر لا وزن له، يشير إلى أن بعض الجنود المسلمين في أثناء حرب الروم شربوا الخمر، وأن أحدهم عندما قدم للعقوبة دافع عن شربه بآية من القرآن، وأن أبا عبيدة أرسل إلى عمر بن الخطاب بالقصة، يطلب رأيه، وهذا الخبر من الناحية الفقهية باطل، ومن ناحية الإسناد تافه، ومن ناحية استشهاد المستشرق المذكور به ينطوي على تدليس؛ لأنه -في السياق الوارد به- لا يخدم غرضه. بل لقد بتر هذا المستشرق جانبا من الخبر، فيه الرد عليه.

والخبر كما أثبته الدكتور محمد يوسف موسى هو: "الذي في كتاب أسد الغابة في هذا الموضوع هو بنصه هكذا: «وذكر عبد الرزاق عن ابن جريج قال: أُخْبِرْتُ أن أبا عبيدة بالشام وجد أبا جندل بن سهيل، وضرار بن الخطاب، وأبا الأزور -وَهُمْ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم- قد شربوا الخمر. فقال أبو جندل: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾» [المائدة: 93] فكتب أبو عبيدة إلى عمر: أن أبا جندل خصمني بهذه الآية.

فكتب إليه عمر: الذي زين لأبي جندل الخطيئة زين له الخصومة فاحددهم، فقال أبو الأزور: دعونا نلق العدو غدا، فإن قتلنا فذاك، وإن رجعنا إليكم فحدونا، فلقى أبو الأزور وضرار وأبو جندل العدو، فاستشهد أبو الأزور وحد الآخران»⁴⁵.

هذا هو النص، ومنه يتبين أن المؤلف لم يكن أمينا في نقله؛ إذ ترك منه آخره، الذي يقرر أن اعتذار أبي جندل لم يقبله عمر؛ لأنه لا يتفق والدين⁴⁶.

45- أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، (ت: 630هـ) تح: علي محمد معوض، وآخرين، 53/6.

46- ينظر دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، الغزالي، ص74.



وفي موضع آخر وأتمودج غريب تجد هذا المستشرق يقع فيما وقع فيه غيره من الأخطاء المتعمدة في المنهج الاستشراقي، فيصف النبي صلى الله عليه وسلم: ((ميل النبي للنساء ميلا كان مضطردا في الزيادة...)) مستدلا بحديث: ((إنما حيب إلي من دنياكم النساء والطيب))⁴⁷، فهذا تكملته: ((وجعلت قرّة عيني في الصلاة)) فمسألة بتر النصوص وتجزئتها مسألة تؤخذ على المستشرقين ضمن منهجهم المتبع، الذي يعتمد على التعمد والخطأ في الاستنتاج. ويرد مترجم كتاب جولد تسيهر بقوله: ((يرى المؤلف جولد تسيهر أن جملة: وجعلت قرّة عيني في الصلاة، زيادة أضيفت إلى حديث: ((حبيب إلي من دنياكم النساء والطيب)). وليتنا نعلم ما الذي رابه في هذه الجملة حتى حكم بزيادتها. هل كان في حياة الرسول العلمية ما لا يتفق مع مضمون هذه الجملة؟ لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم مقيما على الصلاة ويهش لاستقبالها، ويقول: ((أرحنا بها يا بلال))⁴⁸ وكان كما روى أبو داود: ((إذا حزبه⁴⁹ أمر صلى)) كما كان يصلي في السلم والحرب وفي شدة الخوف، وشرع ذلك كله للمسلمين))⁵⁰.

47- العقيدة والشريعة، ص 127.

48- أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، ح 4988 من حديث عبد الله بن محمد ابن الحنفية، بلفظ: «فَمُ يَا بِلَالُ أَقِمْ فَأَرْحَنَا بِالصَّلَاةِ». قال الألباني صحيح. وحكم شراح الحديث على هذا الحديث بأنه من صحيح أبي داود؛ منهم ماهر ياسين الفحل.

49- قوله: ((إذا حزبه أمر صلى)) بفتح الحاء المهملة والزاي الموحدة، ويقال: حزبه أمر يحزبه من باب: قتل إذا أصابه. وفي رواية: حزنه بالنون بدل الموحدة؛ أي: كان صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم، إذا نزل به همّ صلى؛ لأن الصلاة تعين على دفع النوائب، وتفريج الكرب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 153]. وفقه الحديث: يدل على أنه ينبغي لمن نزل به كرب وهمّ أن يفزع إلى خدمة مولاه بالصلاة. ومنه أخذ بعضهم ندب صلاة المصيبة؛ وهي ركعتان عقبها، وكان ابن عباس يفعل ذلك ويقول: نفعل ما أمرنا الله به بقوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: 45]. ومثل الصلاة في ذلك الذكر والدعاء فقد كان النبي -صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم- إذا حزبه أمر قال: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين. ينظر: المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود، لمحمود محمد خطاب السبكي، عني بتحقيقه وتصحيحه: أمين محمود محمد خطاب، 248/7.

50- العقيدة والشريعة، ص 127.

الخاتمة: وتتضمن نتائج البحث وبعض التوصيات:

أولاً- أهم النتائج التي وقفت عليها:

- 1- عمل المستشرقون جاهدين من أجل التشكيك في السنة والظعن فيها، وهذا أمر متفق عليه عند أغلب المستشرقين، والسبب هو عدم إيمانهم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فانجرت معهم من المرجفين ومن ضعاف النفوس الإيمانية خلق كثير.
- 2- في اعتقادي أن المستشرق جولد تسيهر ومن سار على منهجه يريد أن يحقق نتيجة مفادها: أن السنة قامت على غير أساس، وأنه لا فائدة للمسلمين منها، ولم يفرق في ذلك بين الصحيح وغيره.
- 3- المطلع على كتابات المستشرقين يجد فيها من الخطورة البالغة التي تحتاج منا إلى شديد الحذر من مثل هذه الكتابات، اتجاه القرآن والسنة والفقه، وأشد هؤلاء خطراً جولد تسيهر، وقد وقفنا على ذلك من خلال كتابه: العقيدة والشريعة في الإسلام.
- 4- أخيراً المتتبع لكتابات المستشرقين يجد أن السنة تعرضت لسوء فهم وتعمد في الخطأ، واتهام صريح بنسبة ما صح منها لغير النبي صلى الله عليه وسلم من أجل القضاء على المصدر الثاني من مصادر الوحي، وذلك بنسبتها لغير النبي صلى الله عليه وسلم، ودون تفريق بين صحيح وغيره.

ثانياً- بعض التوصيات:

- 1- إنشاء مراكز تُعنى بالدراسات الاستشراقية داخل الجامعات في ليبيا، وخاصة الجامعة الأسمرية الإسلامية، يتم من خلالها تبادل المعارف والخبرات التي تتعلق بالدراسات الاستشراقية، وكذلك التواصل مع الجامعات الإسلامية في الخارج.
- 2- الرد على كتاباتهم وفق منهج علمي معتدل يسوده الحكمة والأسلوب الحسن.
- 3- متابعة ما يتم كتابته ونشره وتدرسه من قبل المستشرقين في الجامعات الغربية.
- 4- متابعة كل ما يكتب ويعرض من المستشرقين في مؤتمراتهم وندواتهم بصورة دورية.
- 5- تكثيف الجهود العلمية وإنشاء الندوات والمؤتمرات لمناقشة أفكارهم، ورد الشكوك التي تثار حول السنة النبوية، وغيرها من علوم الإسلام.



المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- 1- أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الجزري، (ت: 630هـ) تح: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط 1، 1415هـ-1994م، 53/6.
- 2- الاستشراق أهدافه ووسائله، محمد فتح الله الزيايدي، دار قتيبة، سوريا، ط2، 2002م.
- 3- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، الدكتور: محمود حمدي زقزوق، مكتبة الشروق، القاهرة، ط1، سنة: 1429هـ - 2008م
- 4- الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، الدكتور: مصطفى السباعي، دار الوراق، المكتب الإسلامي، السعودية، ط2، 1420هـ - 1999م.
- 5- افتراءات المستشرقين على الإسلام، عرض ونقد، الدكتور: عبد العظيم إبراهيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1413هـ - 1992م.
- 6- تميز الأمة الإسلامية مع دراسة نقدية لموقف المستشرقين منه، الدكتور: إسحاق بن عبد الله السعدي، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط1، 1426هـ - 2005م.
- 7- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
- 8- الحديث والمحدثون، أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1378هـ.
- 9- دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، الطبعة: الأولى.
- 10- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي - بيروت، وزارة الأوقاف المصرية وأشاروا إلى جمعية المكنز الإسلامي، في التعليق حكم الألباني.
- 11- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى بن حسني السباعي، المكتب الإسلامي - دار الوراق للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، سنة: 2000م.



- 12- العقيدة والشريعة في الإسلام، اجناس جولد تسيهر، تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الديانة الإسلامية، نقله إلى اللغة العربية وعلق عليه: محمد يوسف موسى، عبد العزيز عبد الحق، وعلي حسن عبد القادر. دار الكاتب المصري، القاهرة، الطبعة: الأولى، فبراير: 1946م.
- 13- المعين على تفهم الأربعين، لابن الملقن، دراسة وتحقيق: الدكتور دغش بن شبيب العجمي، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، حولي - الكويت، الطبعة: الأولى، 1433 هـ - 2012 م.
- 14- موسوعة المستشرقين، الدكتور: عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1993م.
- 15- موطأ مالك، نسخة نادرة من المكتبة الشاملة، لا توجد عليها معلومات النشر.
- 16- المنهل العذب المورد شرح سنن الإمام أبي داود، لمحمود محمد خطاب السبكي، عني بتحقيقه وتصحيحه: أمين محمود محمد خطاب مطبعة الاستقامة، القاهرة - مصر، ط 1، 1351-1353هـ.
- 17- وهم الموضوعية في كتابات دراسات محمديّة، بحث للدكتور: بشير الصديق نصر، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا.